

سلسلة الأعلام

الشهداء

تأليف: محمد عبد الظاهر المطارقي

رسوم: محمد لطفى

جرافيك: شريف محمد



جميع حقوق الطبع محفوظة

١١ شارع الطوبجى - بين السرايات - الجيزة

تليفاكس: ٧٤٩٣٦٨٥

Site : www.ynabeea.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ
مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ
يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا﴾

الشهداء

الشَّهِيدُ مَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ الدِّفَاعِ عَنْ دِينِهِ وَرَدَّ الْعُدُوَانِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ لِكَيْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا.

وَلِلشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَكَانَةٌ رَفِيعَةٌ وَفَضْلٌ عَظِيمٌ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ❖ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٦٩-١٧١].

وَمَعْنَى ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ أَيَّ أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي طَيْرٍ خُضِرَ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُؤْتَى بِالشَّهِيدِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ لَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ خَيْرَ مَنْزِلٍ، فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّ، فَيَقُولُ: أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا، فَأَقْتُلُ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ لَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، غَيْرَ الشَّهِيدِ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ".

وَلِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفُرْعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ؛ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيَزُوجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ، وَيَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ.

كُلُّ هَذِهِ الْمُنْزَلَةِ لِلشُّهَدَاءِ؛ لِأَنَّ حِرْصَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَجُهِدَهُمْ فِي إِظْهَارِ الْحَقِّ دَفَعَهُمْ إِلَى بَذْلِ أَرْوَاحِهِمْ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ.

وَفِي هَذَا الْكِتَابِ نَتَعَرَّفُ عَلَى حَيَاةِ خَمْسَةِ مِنْ شُهَدَاءِ الصَّحَابَةِ بَدَلُوا أَرْوَاحَهُمْ فِي الدَّوْدِ عَنْ حِيَاضِ هَذَا الدِّينِ حَتَّى قَبِلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الشُّهَدَاءِ فَنَالُوا كَرَامَةَ اللَّهِ وَثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ.

سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب

أَحَدُ أَقَارِبِ النَّبِيِّ ﷺ بَلْ هُوَ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَخُوهُ مِنَ الرُّضَاعَةِ، وَعَمُّهُ، وَصَدِيقُهُ.
كَانَ يَشْتَهَرُ بَيْنَ فَتْيَانِ مَكَّةَ بِشَجَاعَتِهِ، لَا سِيَّمَا أَنَّ هَوَايَتَهُ الْمُفْضِلَةَ هِيَ صَيْدُ الْوُحُوشِ فِي
الصَّخْرَاءِ، بِجَانِبِ مُصَارَعَةِ الْأَقْوِيَاءِ مِنْ فُرْسَانَ مَكَّةَ.

كَانَ يَمْتَشِقُ سَيْفَهُ، مُتَابِطًا قَوْسَهُ وَسِهَامَهُ، ثُمَّ يَغْوُصُ فِي أَغْوَارِ الصَّخْرَاءِ، لِمُلَاقَاةِ الْوُحُوشِ
الْكَاسِرَةِ. يَنْتَصِبُ أَمَامَهَا كَالْأَسَدِ الْهَاضِمِ، مُشَمِّرًا عَنْ ذِرَاعَيْنِ مَفْتُولَتَيْنِ بِعَصَلَاتٍ مِنْ فُولاذٍ.
كَانَتْ الْوُحُوشُ تَفِرُّ مِنْ أَمَامِهِ مَذْعُورَةً، لَكِنَّهُ يَعْرِفُ كَيْفَ يُصَوِّبُ سِهَامَهُ، وَمَتَى يُصِيبُ الْهَدَفَ.
يَعُودُ كُلَّ يَوْمٍ بِخَطَاهُ الْقَوِيَّةِ الرَّاسِخَةِ، وَجَسَدِهِ الْمَمْشُوقِ الْعِمْلَاقِ، حَامِلًا قَوْسَهُ عَلَى كَتِفِهِ
مُمْسِكًا بِصَيْدِهِ الثَّمِينِ.

وَكَانَ الطَّوَافُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ هُوَ أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ عِنْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الْقَنْصِ، وَبَعْدَ أَنْ يَنْتَهِيَ مِنْ
طَوَافِهِ يَبْدَأُ فِي الْمُرُورِ عَلَى نَوَادِي قُرَيْشٍ، يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، وَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ.
الْجَمِيعُ يُحِبُّونَهُ؛ لِدِمَائَةِ أَخْلَاقِهِ، وَاعْتِرَازِهِ الشَّدِيدِ بِنَفْسِهِ وَقَبِيلَتِهِ.
وَهَلْ هُنَاكَ فَتَى فِي قُرَيْشٍ أَعَزُّ مِنْهُ، وَأَشَدُّ مِنْهُ شَكِيمَةً؟

لَكِنَّهُ الْيَوْمَ لَمْ يَبْدَأْ بِالطَّوَافِ كَمَا هُوَ مُعْتَادٌ.. مَا زَالَتْ كَلِمَاتُ الْمَرْأَةِ تَطْنُ فِي أُذُنَيْهِ..
إِنَّهَا أَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ لِرَجُلٍ مِنْ عِظَمَاءِ مَكَّةَ يُدْعَى "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَدْعَانَ".. قَالَتْ لَهُ: أَلَا تُحِبُّ
يَا أَبَا عِمَارَةَ أَنْ تَعْرِفَ مَا حَدَثَ لِابْنِ أَخِيكَ الْيَوْمَ؟ لَقَدْ نَالَهُ الْخَبِيثُ بِسُوءِ.
الْغَضَبِ يَتَفَجَّرُ مِنْ كُلِّ ذَرَّةٍ فِي كِيَانِهِ.. وَجْهُهُ يَقْدَحُ بِالشَّرَرِ..

عَيْنَاهُ تَوَمَّضُ وَمِیْضًا عَجِيبًا، وَأَصَابِعُهُ الْحَدِيدِيَّةُ تَقْبِضُ عَلَى قَوْسِهِ فِي غَضَبٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ.
أَرْسَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ نَظَرَاتِهِ الْحَادَّةَ كَعَيْنِي الصَّقْرِ.. تَبَعَثَتْ فِي أَنْحَاءِ الْمَكَانِ، يَبْحَثُ
عَنْهُ، وَهَلْ هُنَاكَ غَيْرُهُ؟

هَذَا اللَّعِينُ الَّذِي يَجْلِسُ بَيْنَ أَشْرَافِ مَكَّةَ يُقَهِّقُهُ بِمَلَأِ فِيهِ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ! يَخْكِي لَهُمْ كَيْفَ
اسْتَهْزَأَ بِمُحَمَّدٍ وَشَاتَمَهُ هُنَاكَ عِنْدَ الصَّفَا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ مُحَمَّدٌ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ.

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ اضْطَدَمَتْ عَيْنَا أَبِي جَهْلٍ بِعَيْنَي هَذَا الْوَحْشِ الْعِمْلَاقِ.. مَاتَتِ الضَّحِكَاتُ عَلَى فَمِ الطَّاعِيَةِ..

رَاحَ يَبْحَثُ عَنِ الْكَلِمَاتِ فَلَمْ يَجِدْهَا.. ثَقُلَ لِسَانُهُ، وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ مِنَ الْفَزَعِ.
حَمَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَوْسَهُ وَاتَّجَهَ صَوْبَ أَبِي جَهْلٍ مُبَاشَرَةً، وَسَدَّدَ إِلَيْهِ ضَرْبَةً مُنْكَرَةً شَجَّتْ رَأْسَهُ، وَتَدَفَّقَ الدَّمُ سَاحِنًا عَلَى وَجْهِهِ وَمَلَابِسِهِ.
زَارَفِي وَجْهِ أَبِي جَهْلٍ: أَنْشْتُمْ مُحَمَّدًا وَأَنَا عَلَى دِينِهِ، أَقُولُ مَا يَقُولُ؟ فَرَدَّ ذَلِكَ عَلَيَّ إِنْ اسْتَطَعْتُ!!

بُهِتَ كُلُّ الْجَالِسِينَ، وَأَصَابَهُمُ الذُّهُولُ مِنْ وَقَعِ الْمُفَاجَأَةِ.
قَالَ أَبُو جَهْلٍ فِي صَوْتٍ مَكْتُومٍ، وَهُوَ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْجُرْحِ: دَعُوا أَبَا عِمَارَةَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ سَبَبْتُ ابْنَ أَخِيهِ سَبًّا قَبِيحًا.

عَادَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى بَيْتِهِ وَفِي الصَّبَاحِ حَمَلَ جَسَدَهُ الْعِمْلَاقَ وَذَهَبَ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَهُنَاكَ أَخَذَ يَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ.
ذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُنَاكَ مَدَّ يَدَهُ لِتَصَافِحَ يَدِ النَّبِيِّ ﷺ مُعْلِنًا إِسْلَامَهُ، وَشَاهِدًا شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَسُرَّ النَّبِيُّ ﷺ وَفَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا.

مُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ الْمُبَارَكَةِ أَصْبَحَ لِلْمُسْلِمِينَ عِزَّةٌ وَمَنْعَةٌ، فَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ الْاقْتِرَابَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ.



وَتَمُرُّ الْأَيَّامُ، وَتَتَوَحَّدُ كَلِمَةُ الْمُشْرِكِينَ، وَيَتَّفِقُوا عَلَى قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّخْلُصِ مِنْ دَعْوَتِهِ
فَيَأْمُرُهُ اللَّهُ بِالْهَجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهُنَاكَ يَعِيشُ الْمُسْلِمُونَ مَعَ إِخْوَانِهِمُ الْأَنْصَارِ، وَهُمْ
آمِنُونَ مِنْ شَرِّ قُرَيْشٍ وَكَيْدِهَا.

وَتَحْدُثُ غَزْوَةٌ بَدْرَ، وَتَتَجَلَّى عَظَمَةُ حَمْزَةِ ﷺ فَيَصُولُ وَيَجُولُ فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ، يَضْرِبُ
بِسَيْفِهِ الْبَتَّارَ يَمِينًا وَشِمَالًا.. يَشُقُّ الصُّدُورَ، وَيُطِيرُ الرُّءُوسَ، وَيَزَارُ زَيْنًا مُرْعَبًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ
سَيْفٌ أَنْ يَمْتَدَّ إِلَيْهِ، وَلَا رَجُلٌ أَنْ يَدْنُو مِنْ مَكَانِهِ. كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ، وَإِلَى رِيشَةِ النَّعَامِ
الَّتِي يُتَوَجُّ بِهَا رَأْسُهُ.

هَا هُمْ يَتَحَاشَوْنَ الْاقْتِرَابَ مِنْهُ، وَيُفْسِحُونَ لَهُ الطَّرِيقَ دَاخِلَ مُعَسَّكَرِهِمْ، يَمْنَحُونَهُ رِقَابَهُمْ
لِيَقْطَعَ مِنْهَا كَيْفَ يَشَاءُ. وَتَنْتَهِي الْمَعْرَكَةُ، وَيُؤَيِّدُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِنَصْرِهِ، وَتُصَابُ مَكَّةُ بِكَارِثَةِ
عَظِيمَةٍ، فَلَا يُوجَدُ بَيْتٌ إِلَّا وَبِهِ صَرِيعٌ أَوْ أُسِيرٌ.

وَرَا حَتَّ مَكَّةَ تَلْمَلِمُ شَتَاتُ جَسَدِهَا الْمَمْرُقِ، وَتَعْمَلُ عَلَى بِنَاءِ قُوَّةٍ أُخْرَى جَدِيدَةٍ يَذْهَبُونَ بِهَا إِلَى
الْمَدِينَةِ، فَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، وَيَهْدِمُونَ عَلَيْهِمْ بَيْوتَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَتَّى يَنْسَى الْعَرَبُ
هَزِيمَتَهُمْ بِبَدْرٍ، وَلَا يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَفِي مَكَّةَ كَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَتَأَلَّمُ أَشَدَّ الْأَلَمِ لِمَقْتَلِ أَبِيهَا عُتْبَةَ بْنِ
الرَّبِيعِ، وَأَخِيهَا الْوَلِيدِ، وَعَمَّهَا شَيْبَةَ، كَانَتْ تَطْحَنُ الْغَيْظَ وَالْغَضَبَ.

إِنَّهَا تَعْرِفُ جَيِّدًا مِنَ الذِّي صَرَعَهُمْ فِي بَدْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا هُوَ
الْأَسَدُ حَمْزَةُ؟ لَا بُدَّ مِنَ التَّخْلُصِ مِنْهُ.. لَنْ يَهْدَأَ لَهَا
بَالٌ إِلَّا إِذَا قَتَلْتَهُ وَمَثَلَتْ بِجُثَّتِهِ.



وَأَخَذَتْ هِنْدُ تُفَكِّرُ وَتُدَبِّرُ وَتَبْحَثُ حَتَّى وَجَدَتْهُ. إِنَّهُ الْعَبْدُ الْحَبَشِيُّ "وَحْشِيُّ بْنُ حَرْبٍ". قَالَ لَهُ سَيِّدُهُ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ: هَلْ لَكَ يَا أَبَا دَسْمَةَ أَنْ تُنْقِذَ نَفْسَكَ مِنَ الرَّقِّ؟ فَقَالَ وَحْشِيُّ: وَمَنْ لِي بِذَلِكَ؟ قَالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ: أَنَا لَكَ بِهِ! وَكَيْفَ؟ رَبَّتْ جُبَيْرُ عَلَى كَتِفِ وَحْشِيٍّ، وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ: صَاحِبُ رِيْشَةِ النَّعَامِ، حَمْزَةُ، عَلَيْكَ بِهِ، فَقَدْ قَتَلَ عَمِّي طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ.. إِنْ اسْتَطَعْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ حُرٌّ.

كَانَ وَحْشِيُّ رَجُلًا حَبَشِيًّا يَقْدِفُ بِالْحَرْبَةِ فَلَا يُخْطِئُ الرَّمِيَّةَ، وَكَانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ قَدْ وَعَدَتْهُ هِيَ الْآخَرَى بِمَالٍ وَفَيْرٍ وَعُقْدٍ مِنَ الْمَاسِ، إِذَا هُوَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْتُلَ حَمْزَةَ. وَفِي غَزْوَةِ أَحَدِ تَرَبِصَ وَحْشِيٍّ حَتَّى إِذَا وَجَدَ الْفُرْصَةَ مُوَاطِئَةً، دَفَعَ حَرْبَتَهُ بِقُوَّةٍ لَتَخْتَرِقَ بَطْنَ حَمْزَةَ فَوْقَ وَقَدْ فَاضَتْ رُوحُهُ الْكَرِيمَةُ الطَّاهِرَةُ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ.



سفير الأمة مصعب بن عمير

مَا أَرْوَعَ الْمَلَائِكَةُ الَّتِي يَرْتَدِيهَا، وَمَا أَثْمَنَهَا! مَا أَجْمَلَ الْعِطْرَ الَّذِي يَفُوحُ مِنْهُ مَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا! مَا أَجْمَلَهُ وَمَا أَرْوَعَهُ وَهُوَ يَسِيرُ بَيْنَ فِتْيَانِ مَكَّةَ، يَحْمِلُ ابْتِسَامَةً عَذْبَةً وَوَجْهًا حَسَنًا. كَانَ يَحْمِلُ قَلْبًا، يَهْفُو نَحْوَ الْجَمَالِ وَالْحُبِّ، وَعَقْلًا يَفُوقُ أَضْعَافَ عُمْرِهِ، يَبْحَثُ بِهِ عَنِ الْحَقِيقَةِ. وَعِنْدَمَا سَمِعَ عَنِ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ بَيْتِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ سَعَى إِلَيْهِ، وَصَدَّقَهُ، وَآمَنَ بِدَعْوَتِهِ.

لَكِنَّ أُمَّهُ "خَنَاسَ بِنْتَ وَهَبٍ" كَانَتْ امْرَأَةً شَدِيدَةً إِلَى أَقْصَى دَرَجَةٍ، وَقَدْ أَخْبَرَهَا "عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ"، أَنَّ ابْنَهَا "مُصْعَبًا" يَدْخُلُ خَفِيَّةً إِلَى دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، ثُمَّ رَأَاهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يُصَلِّي! أَقْسَمَتْ الْأُمُّ أَنْ تَحْبِسَ وَلَدَهَا وَتَوْدِّبَهُ بِطَرِيقَتِهَا، كَيْ يَعُودَ إِلَى دِينِ آبَائِهِ. لَكِنَّ مُصْعَبًا الَّذِي أَحَسَّ بِحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ تَمَسُّ شَغَافَ قَلْبِهِ، يَرْفُضُ كُلَّ وَسَائِلِ الْإِغْرَاءِ، وَيَتَحَمَّلُ كَافَّةَ آسَالِيْبِ التَّعْذِيبِ مِنْ أُمِّهِ؛ فَتَمْنَعُ عَنْهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، حَتَّى ذَبَلَ جَسَدُهُ، لَكِنَّهُ كَانَ يَصْبِرُ وَيَتَحَمَّلُ، وَهُوَ يَحْتَسِبُ الْأَجْرَ عِنْدَ اللَّهِ.

أَغْلَقَتْ عَلَيْهِ كُلَّ الْأَبْوَابِ.. قَيَّدَتْهُ بِسَلْسِلِ الْحَدِيدِ، لَكِنَّهُ اسْتَعَانَ بِاللَّهِ، وَاخْتَالَ لِنَفْسِهِ حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَحَرَّرَ مِنْ سِجْنِهِ، وَيَنْطَلِقَ مُهَاجِرًا مَعَ إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ إِلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ.

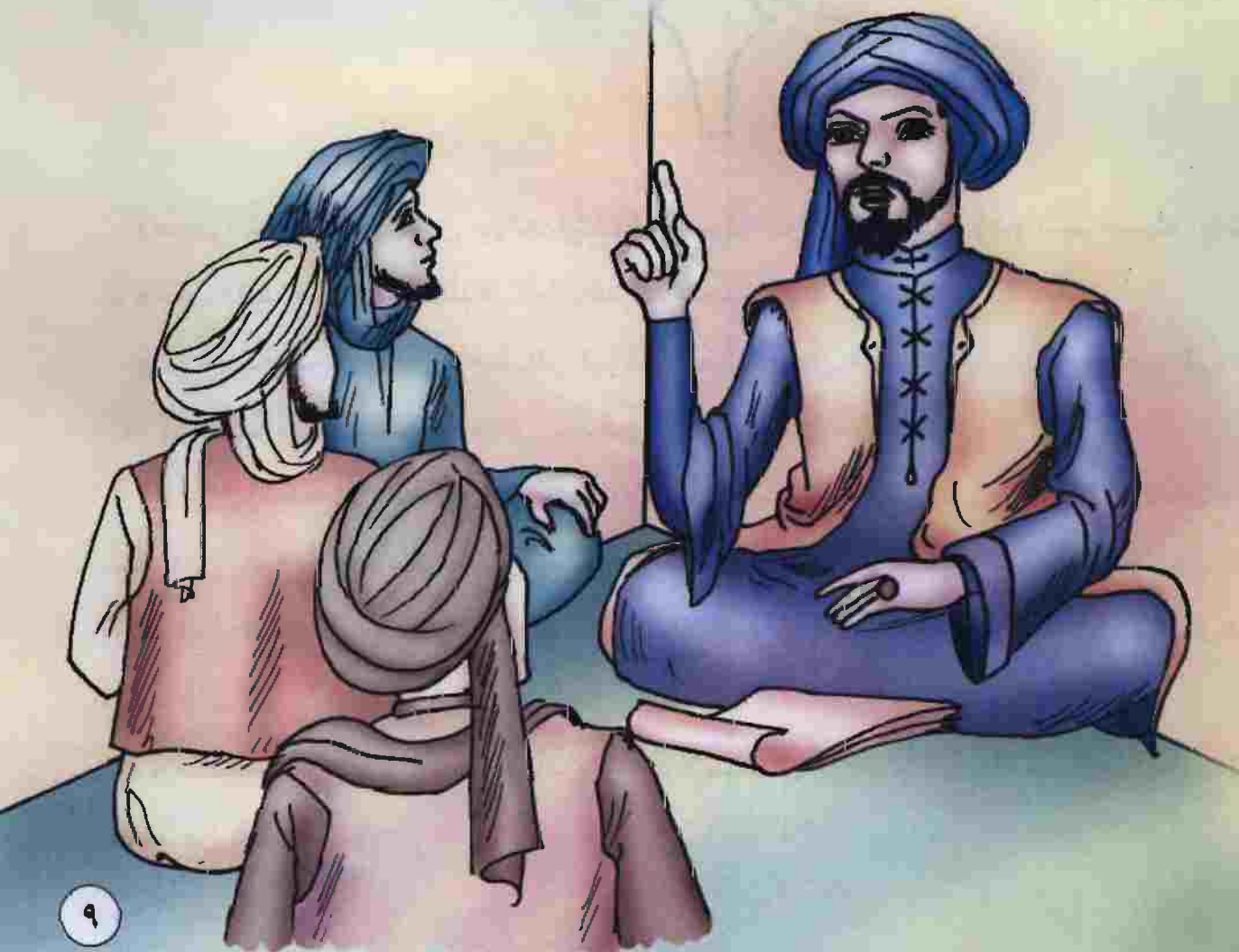


وَيَعُودُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه مِنْ بِلَادِ الْحَبَشَةِ لِيَحْمِلَ أَعْظَمَ مُهِمَّةٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ؛ حَيْثُ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسَافِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُعَلِّمَ الْأَنْصَارَ. إِنَّهُ تَكْلِيفٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لِيَكُونَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ هُوَ أَوَّلُ سَفِيرٍ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، وَأَوَّلُ دَاعِيَةٍ يَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ.

نَعَمْ، كَانَ يَثْرِبَ اثْنَا عَشَرَ مُسْلِمًا، هُمُ الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ ﷺ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ، وَمِنْ هُنَاكَ بَعَثُوا إِلَيْهِ مُعَاذَ بْنَ عَفْرَاءَ، وَزَافِعَ بْنَ مَالِكٍ؛ لِيَقُولُوا لَهُ: ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا مِنْ قِبْلِكَ؛ لِيَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَوْفَ يُتَّبَعُ. وَيَتَطَلَّعُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ فِي وُجُوهِ الصَّحَابَةِ لِتَشْمَلَ هَذَا الصَّحَابِيُّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، لِيَحْمِلَ شَرَفَ الْمُهَمَّةِ.

وَيُمَثِّلُ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ لِلأَمْرِ، وَيَتَحَرَّكُ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِي بَنِي غَنَمٍ عَلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ، وَمِنْ هُنَاكَ رَاحَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى دِينِ اللَّهِ، وَبِجَانِبِهِ ابْنُ زُرَّارَةَ رضي الله عنه يَغْشِيَانِ الْقَبَائِلَ وَالْبُيُوتَ وَالْمَجَالِسَ.

كَانَتْ الْكَلِمَاتُ تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ كَحَبَابِ اللَّوْلُؤِ، لِتَثِيرَ الْقُلُوبَ، وَتُحَفِّزَ الْعُقُولَ، وَتَشْحَذَ الْهَمَّةَ لِلدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ.





وَكَانَ النَّاسُ يَلْتَفِتُونَ مِنْ حَوْلِهِ؛ لِيَسْمَعُوا صَوْتَهُ الرَّقْرَاقَ الْبَدِيعَ، وَهُوَ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هَاتِفًا مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ: "إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ".

وَفِي مَوْسِمِ الْحَجِّ مِنَ الْعَامِ التَّالِي لِبَيْعَةِ الْعَقَبَةِ، كَانَ مُسْلِمُو الْمَدِينَةِ يَبْعَثُونَ إِلَى مَكَّةَ وَفْدًا لِيُمَثِّلَهُمْ وَيَنْوُبَ عَنْهُمْ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا وَامْرَأَتَيْنِ.

وَلَا يَزَالُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ وَالِدَاعِيَةُ الْأَوَّلُ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ سَادَةٌ يَثْرِبَ، أَمْثَالُ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ، وَسَعْدُ ابْنُ عِبَادَةَ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ عَمَالِقَةِ الْأَنْصَارِ. وَبِإِسْلَامِ هَؤُلَاءِ الزَّعَمَاءِ انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ وَاسْتَقَرَّ.

ثُمَّ اسْتَعَدَّتِ الْمَدِينَةُ بَعْدَ أَنْ تَهَيَّأَتْ وَتَزِينَتْ لَاسْتِقْبَالِ مَوْكِبِ النُّورِ الَّذِي يَقُودُهُ أَعْظَمُ الْخَلْقِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ.

وَتَمُرُّ الْأَيَّامُ لِتَحْدُثَ غَزْوَةٌ بَدْرٌ..

أَوَّلُ لِقَاءٍ مُسَلَّحٍ بَيْنَ جَبْهَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَبْهَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَيَنْتَصِرُ الْمُسْلِمُونَ انْتِصَارًا سَاحِقًا
رَغْمَ قَلَّةِ عَدَدِهِمْ وَعِتَادِهِمْ..

يَنْتَصِرُونَ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ، بَعْدَ أَنْ ثَبَّتَهُمُ اللَّهُ ﷻ عَلَى الْحَقِّ، وَأَيَّدَهُمُ بِنَصْرِهِ.
وَفِي غَزْوَةِ أَحَدٍ كَانَتْ كَلِمَةُ النَّهَايَةِ قَدْ انْسَدَلَتْ عَلَى بَطْلِ صِنْدِيدٍ مِنْ أَعْظَمِ الْأَبْطَالِ
وَشَخْصِيَّةٍ مِنْ أَمْهَرِ الشَّخْصِيَّاتِ..

إِنَّهُ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ الَّذِي حَمَلَ رَايَةَ الْجِهَادِ كَمَا حَمَلَ لَوَاءَ الدَّعْوَةِ مِنْ قَبْلُ.
وَتَتَجَلَّى شَجَاعَتُهُ فِي مُوَاجَهَةِ الطُّغَاةِ، وَلَمْ يَأْبَهُ لِمَا أَصَابَهُ مِنْ تَكْتُلِ الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِ حَتَّى
تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ، فَقَبِضَ عَلَى اللِّوَاءِ بِعَضْدِيهِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنْهُ.

كَانَ يَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَهْتَفُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

وَيَأْتِي عَدُوُّ اللَّهِ ابْنُ قَمِيئَةَ لِيُضْرِبَهُ ضَرْبَةً أَخِيرَةً قَوِيَّةً بِالرُّمْحِ فَيَقَعَ وَيَسْقُطَ اللِّوَاءُ، بَيْنَمَا
رُوحُهُ الطَّاهِرَةُ كَانَتْ تُرْفَرِفُ فِي سَعَادَةٍ وَهِيَ تَصْعَدُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ.
فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ مُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ.

الشهيد الطيار جعفر بن أبي طالب

بِمُجَرَّدِ أَنْ شَبَّ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَنِ الطُّوقِ، وَبَلَغَ مَبْلَغَ الشَّبَابِ، وَصَارَ يَعْتَمِدُ عَلَى نَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَعِيشُ فِي كَنَفِ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ، حَتَّى وَجَدَ الْإِيمَانَ طَرِيقَهُ إِلَى قَلْبِهِ، فَلَمْ يَتَوَانَ وَلَمْ يَتَلَعَثْ، بَلِ اتَّجَهَ مُبَاشَرَةً صَوْبَ النَّبِيِّ ﷺ لِيُعْلِنَ بَيْنَ يَدَيْهِ شَهَادَةَ التَّوْحِيدِ.

وَهُوَ بِالرَّغْمِ مِنْ مَكَانَتِهِ الشَّرِيفَةِ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ عَنْهُ، وَلَا عَنْ زَوْجَتِهِ الشَّابَّةِ "أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ"، أَذَى قُرَيْشٍ وَتَنَكُّيلَهَا بِهِمَا. وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُمَا إِلَّا احْتِسَابُ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. أَمَّا النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ فَقَدْ كَانَ فِي أَشَدِّ حَالَاتِ الْحُزْنِ وَالْأَسَى لِمَا يَغْتَرِي أَصْحَابَهُ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ الْأَذَى الشَّدِيدِ، وَالْأَلَمِ الْمُبْرِحِ، وَهُوَ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ.

قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: "لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ". هُنَالِكَ خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ، وَفَرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ، وَتَعَدُّ هَذِهِ الْهَجْرَةَ الْمُبَارَكَةَ أَوَّلَ هَجْرَةٍ حَدَثَتْ فِي الْإِسْلَامِ. وَكَانَ بَيْنَهُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَزَوْجَتُهُ الشَّابَّةُ الْمُؤْمِنَةُ "أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ"، تُلَازِمُهُ وَتَشُدُّ عَلَى يَدِهِ.



وَهَنَّاكَ اسْتَقْبَلَهُمُ النَّجَاشِيُّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَأَكْرَمَ وَفَادَتْهُمْ؛ فَرَاخُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ ^{عَلَى} بِقُلُوبٍ مُطْمَئِنَّةٍ.

لَكِنَّ قُرَيْشًا حِينَ عَلِمَتْ بِفِرَارِ هَؤُلَاءِ بَدِينِهِمْ، وَنَزُولِهِمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، اسْتَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى إِرسَالِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَهُمْ مِنَ الْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ وَالِدَّهَاءِ، مَا يَسْتَطِيعَانِ بِهِ أَنْ يُوْغِرَا قَلْبَ النَّجَاشِيِّ ضِدَّهُمْ؛ فَيَقُومَ بِطَرْدِهِمْ، وَيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ.

وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى أَنْ يَكُونَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، رَسُولِي مَكَّةَ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ؛ لِمَا يَمْتَلِكَانِ مِنْ مُرَاوَعَةٍ وَحِيلَةٍ، وَأُسْلُوبٍ سَاحِرٍ بَرَّاقٍ.

تَقُولُ السَّيِّدَةُ "أُمُّ سَلَمَةَ": "خَرَجَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ بِهَدَايَاهُمْ حَتَّى قَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطَرِيقٍ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَا عَلَى النَّجَاشِيِّ وَيُكَلِّمَاهُ، وَحَاوَلَا التَّأْثِيرَ عَلَى الْبَطَارِقَةِ؛ حَتَّى يَكُونُوا لُهُمَا عَوْنًا فِي حَدِيثِهِمَا مَعَ النَّجَاشِيِّ. ثُمَّ إِنَّهُمَا قَدِمَا هَدَايَاهُمَا إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالَ لَهُ:

أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ دَخَلَ بِلَدَكَ مِنَّا غِلْمَانُ مِنَ السُّفَهَاءِ فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ ابْتَدَعُوهُ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ؛ لَتَرُدَّهُمْ عَلَيْهِمْ.

فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَا أُسْلِمُهُمْ!

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا دِينِي، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْمِلَلِ؟

هُنَالِكَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؛ لِيَتَكَلَّمَ نِيَابَةً عَنْهُمْ، فَأَجْرَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحِكْمَةَ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَتَلَجَّلَجْ.. قَالَ:

كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسَيِّئُ الْجَوَارِ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ؛ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ.

قَالَ جَعْفَرٌ عليه السلام: أَيُّهَا الْمَلِكُ: وَأَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ؛ فَصَدَّقْنَا، وَأَمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَخُدُّهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا؛ فَغَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا؛ لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْتَانِ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ. فَلَمَّا قَهَرُونَا، وَظَلَمُونَا، وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغَبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَلَّا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. قَالَ النَّجَاشِيُّ: فَأَقْرَأْهُ عَلَيَّ.

فَرَأَى جَعْفَرٌ بِصَوْتِهِ الْعَذَابَ الرَّقْرَاقَ يَتْلُو عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ، فَاهْتَرَّتْ لِنَعْمَاتِهِ الشَّجِيَّةُ أَوْتَارُ الْقُلُوبِ، وَذَرَفَتِ الْأَعْيُنُ، وَبَكَى النَّجَاشِيُّ كَمَا لَمْ يَبْكِ مِنْ قَبْلُ، حَتَّى تَبَلَّلَتْ لِحْيَتُهُ، وَبَكَتْ أَسَافَتُهُ حَتَّى بَلَّلُوا كُتُبَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ جَعْفَرٌ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ رَفَعَ النَّجَاشِيُّ رَأْسَهُ لِأَعْلَى قَائِلًا: إِنَّ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لِيَخْرُجَ مِنْ مَشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ أَشَارَ إِلَيْهِمَا: انْطَلِقَا، فَلَا وَاللَّهِ لَا أَسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمَا.



فَقَالَ النَّجَاشِيُّ مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟

فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ.

فَضْرَبَ النَّجَاشِيُّ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَدَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا قُلْتُ هَذَا الْعُودُ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَيْهِمْ قَائِلًا، وَوَجْهُهُ يَشْعُ بِابْتِسَامَةٍ مُضِيئَةٍ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ آمِنُونَ. مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ. وَاللَّهِ لَا أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي جَبَلٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَيَخْلُصَ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَيُّ أَدَى.

فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، غَادَرَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِلَادَ الْحَبَشَةِ، مَعَ نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مُتَجَهِّينَ إِلَى يَثْرِبَ، بَعْدَ أَنْ مَكَثُوا بِالْحَبَشَةِ مَا يَقْرُبُ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ. فَلَمَّا بَلَغُوهَا، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَائِدًا لِنَوَى مِنْ خَيْبَرَ، بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا اللَّهُ لَهُ.

فَرِحَ ﷺ بِلِقَاءِ ابْنِ عَمِّهِ جَعْفَرٍ فَرَحًا شَدِيدًا، وَاسْتَقَرَّ جَعْفَرُ - أَخِيرًا - بِالْمَدِينَةِ، لَكِنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ فِي دَاخِلِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَسَى وَالْحُزَنِ.

وَرَأَى جَعْفَرُ يَدْعُو اللَّهَ الْعَلِيِّ الْقَدِيرَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ نَصِيبًا فِي الْجِهَادِ، وَأَنْ يَكْتُبَهُ مِنَ الشُّهَدَاءِ. وَفِي أَوَائِلِ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ، جَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا لِمُنَازَلَةِ الرُّومِ فِي مَوْتَةِ بِلَادِ الشَّامِ، وَأَمَرَ عَلَى الْجَيْشِ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلَ "زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ"، وَقَالَ: إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ، فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى الْجَيْشِ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرُ، فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى الْجَيْشِ.

وَخَرَجَ الْجَيْشُ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ، بَعْدَ تَوْدِيعِ النَّاسِ لِلْأَمْرَاءِ الثَّلَاثَةِ. وَالتَّقَى الْجَيْشَانِ؛ وَبَدَأَ الْقِتَالُ، فَقَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِرَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَظَلَّ يُقَاتِلُ بِهَا حَتَّى إِذَا أَلْحَمَهُ الْقِتَالُ، اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ الشُّقْرَاءَ، فَعَقَّرَهَا، ثُمَّ قَاتَلَ بِمَهَارَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَهُوَ يَهْتَفُ:

يَا حَبْدَا الْجَنَّةِ وَاقْتِرَابُهَا
طَيِّبَةُ وَبَارِدُ شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا
كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا

عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضَرَابُهَا

وَرَأَى جَعْفَرُ يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّامِلِ، وَالرَّايَةَ تُرْفَرُ فِي يَمِينِهِ عَالِيَةً خَفَاقَةً، حَتَّى قُطِعَتْ يَمِينُهُ، فَتَلَقَّفَهَا بِشِمَالِهِ، فَقُطِعَتْ شِمَالُهُ، فَقَبِضَ عَلَى الرَّايَةِ بِعَضْدِيهِ، فَجَاءَتْ ضَرْبَةً عَنِيفَةً قَاسِيَةً؛ فَشَقَّتْهُ شَقَّتَيْنِ. فَلَمَّا سُئِلَ ﷺ عَنْهُ، أَجَابَ: "لَقَدْ رَأَيْتُ جَعْفَرًا فِي الْجَنَّةِ لَهُ جَنَاحَانِ مُضْرَجَانِ بِالدِّمَاءِ".

غسيل الملائكة حنظلة بن عامر

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ صَاحِبَكُمْ تَغْسِلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَاسْأَلُوا أَهْلَهُ، مَا شَأْنُهُ؟، فَسُئِلَتْ صَاحِبَتُهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الْهَاتِفَةَ، فَصَارَ يُدْعَى "غَسِيلَ الْمَلَائِكَةِ" ﷺ.



مَا أَنْ وَطِئَ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ وَتَرَبَّعَ دَاخِلُهُ حَتَّى اطْمَأَنَّتْ جَوَارِحُهُ، فَمَا كَانَ ﷺ يَسْتَمِعُ إِلَى الْآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ تَتَحَدَّثُ عَنِ النَّارِ إِلَّا وَأَحْسَ بِلَهِيئِهَا يَلْفُحُ وَجْهَهُ وَصَرَخَاتِ أَهْلِهَا الْمُفْزِعَةِ تُلَاحِقُ أُذُنِيهِ فَكَانَ يَبْكِي خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ، وَيَدْعُو اللَّهَ الْعَلِيِّ الْقَدِيرَ أَنْ يَحْفَظَهُ مِنَ النَّارِ وَأَنْ يُجِيرَهُ مِنْ عَذَابِهَا، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا.

وَلَمَّا يَسْتَمِعُ إِلَى آيَاتِ النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَانَ يَجِدُ رَائِحَتَهَا الرُّكِيَّةَ تُنْعِشُ نَفْسَهُ فَيَرَى مِنْ وَاقِعِ تِلْكَ الْآيَاتِ نَعِيمًا مُقِيمًا يَتَجَسَّدُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ: أَشْجَارٌ بِأَسْقَةٍ وَثِمَارٌ يَانِعَةٌ وَأَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ.. وَزُجَّاتٌ حَسَنَاتٌ يَرَاهُنَّ رَأْيَ عَيْنٍ فَيَشْعُرُ بِالشَّوْقِ يَجْتَاحُ قَلْبَهُ، وَالرَّغْبَةَ تُهَيِّمُنُ عَلَى كُلِّ ذَرَّةٍ فِي كِيَانِهِ فَيَبْكِي، دَاعِيَا اللَّهَ الْعَلِيِّ الْقَدِيرَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا.

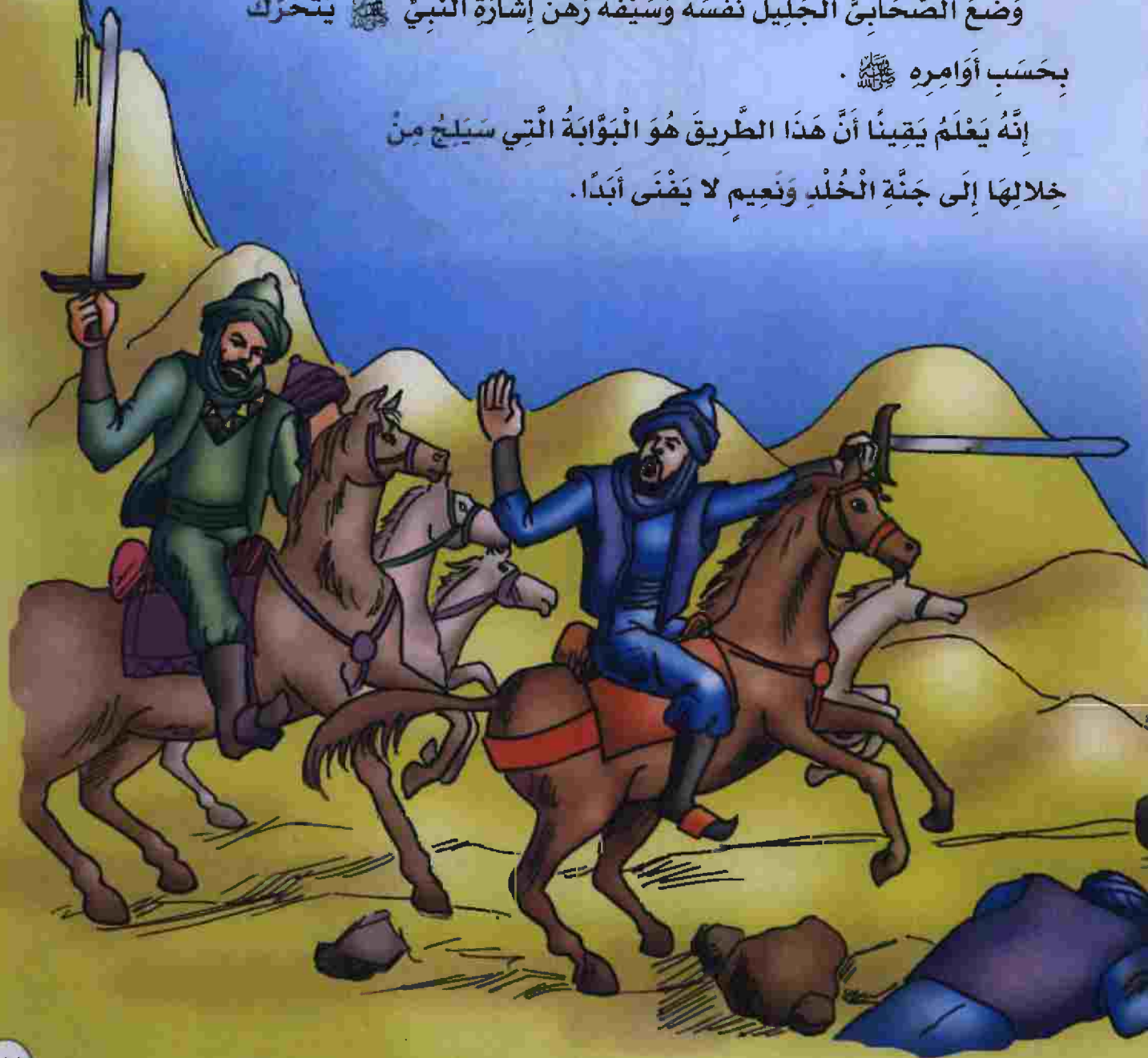


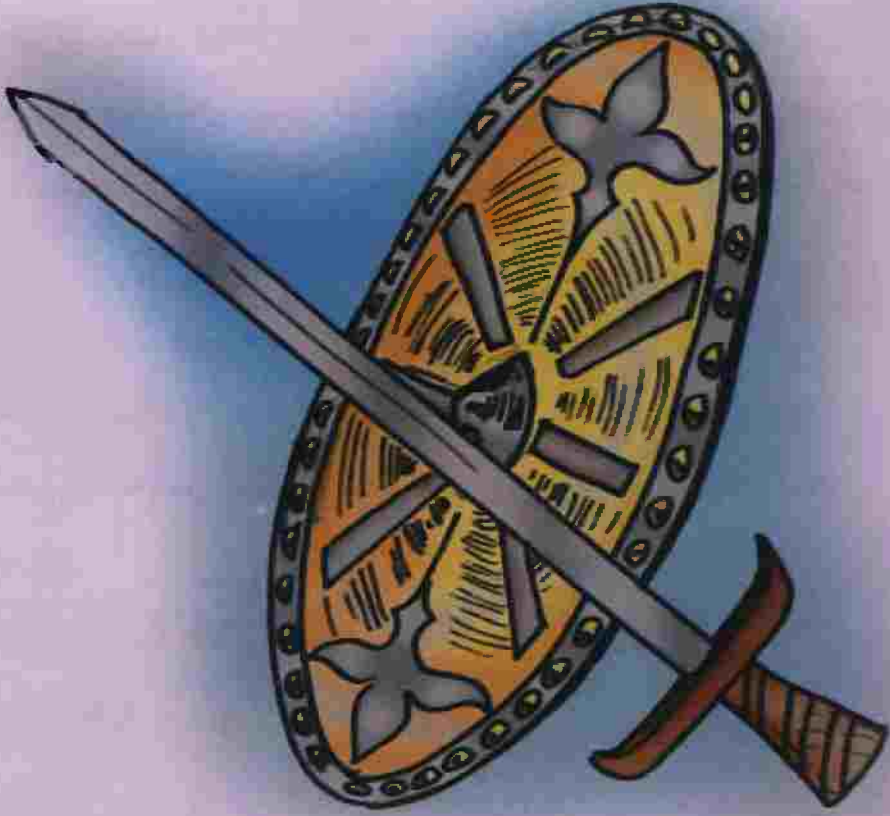
وَهَكَذَا كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعِيشُ مَعَ آيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ فَيَجِدُهَا تَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ، بَلْ هِيَ الْحَيَاةُ يَتَجَرَّعُهَا لَيْلَ نَهَارٍ. وَلَا تَنْتَهُ ﷺ كَانَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ لَنْ يَأْتِيَ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ، فَقَدْ بَذَلَ كُلَّ غَالٍ وَثَمِينٍ لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَرَفَعَ لَوَائِهِ، فَكَانَ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَمَلُوا السَّيْفَ وَرَمَوْا بِأَنْفُسِهِمْ فِي سَاحَةِ الْجِهَادِ، وَذَلِكَ يَوْمَ أُحُدٍ، يَوْمَ خَرَجَتْ قُرَيْشٌ لِيَتَنَازَرُوا بِقَتْلِهَا فِي بَدْرٍ..

يَوْمَ خَرَجَ الْجَمْعَانِ.. جَمَاعَةٌ قَائِدُهَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ.
وَأُخْرَى يَقُودُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ.

وَضَعَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ نَفْسَهُ وَسَيْفَهُ رَهْنًا إِشَارَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ يَتَحَرَّكُ
بِحَسَبِ أَوْامِرِهِ ﷺ.

إِنَّهُ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ هُوَ الْبُؤَابَةُ الَّتِي سَيَلْجُ مِنْ
خِلَالِهَا إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ وَنَعِيمٍ لَا يَفْنَى أَبَدًا.





إِنَّهُ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ الرَّاهِبِ أَحَدُ الصَّحَابَةِ الْأَفْدَاذِ الَّذِينَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ
فَكَانَ ﷺ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حُبًّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَلَطَالَمَا طَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ بِقَتْلِ أَبِيهِ، فَأَبُوهُ هُوَ أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ الَّذِي كَانَ
مِنْ أَشَدِّ الْمُشْرِكِينَ بُغْضًا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ حَارَبَهُ بِشَتَّى الطَّرِيقِ، وَتَأَمَّرَ مَعَ كُفَّارِ مَكَّةَ عَلَى قَتْلِهِ
لِذَا فَهُوَ يَمُقَّتُهُ، وَيَتَمَنَّى لَوْ تَمَكَّنَ مِنْ رَأْسِهِ فَبَتَرَهَا كَمَا تُبْتَرُ رَأْسُ الْحَيَّةِ غَيْرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ
يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلِكَ.. إِنَّهُ الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ.. الْوَلَاءُ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ.. وَالْبِرَاءُ مِنْ كُلِّ
مَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ.

وَمَضَى ﷺ فِي طَرِيقِهِ الَّذِي حَدَّدَهُ لَهُ الْإِسْلَامُ لَا يَحِيدُ عَنْهُ قَيْدَ أَنْمَلَةٍ، كَانَ يَنْظُرُ إِلَى
النَّبِيِّ ﷺ نَظْرَةَ التَّلْمِيزِ الْمُجْتَهِدِ إِلَى مُعَلِّمِهِ، وَالْجُنْدِيِّ الْمُخْلِصِ إِلَى قَائِدِهِ النَّبِيلِ، يَنْتَظِرُ
مِنْهُ إِشَارَةً أَوْ إِيْمَاءَةً لِيَنْهَضَ إِلَيْهِ وَيَقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَائِلًا لَهُ بِمُنْتَهَى الصَّدْقِ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ.

أَمَّا مَوْقِفُهُ الْعَظِيمُ ﷺ وَالَّذِي لَارِزْنَا نَسْتَعِيدُ ذِكْرَهُ الْعِطْرَةَ كُلَّمَا أَخَذْنَا الشُّوقَ وَالْحَنِينَ إِلَى هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الْأَبْطَالِ فَهُوَ مَوْقِفُهُ يَوْمَ أُحُدٍ.

كَانَ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ بِالصَّحَابِيَّةِ الْجَلِيلَةِ "جَمِيلَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سَلُولٍ" وَكُنَّا نَعْرِفُ أَبَاهَا حَقَّ الْمَعْرِفَةِ، فَهُوَ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ وَعَدُوُّ الْمُوَحِّدِينَ.

أَمَّا هِيَ فَقَدْ كَانَتْ تُشَبِّهُ أَخَاهَا عَبْدَ اللَّهِ ﷺ فِي إِيْمَانِهِ وَإِخْلَاصِهِ لِلْإِسْلَامِ. ذَهَبَ هَذَا الصَّحَابِيُّ إِلَيْهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَدَخَلَ بِهَا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي فِي صَبِيحَتِهَا كَانَ قِتَالُ أُحُدٍ، وَكَانَ قَدْ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبِيتَ عِنْدَهَا فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا صَلَّى الصُّبْحَ غَدَا يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ بِأُحُدٍ ثُمَّ مَالَ إِلَى جَمِيلَةَ فَأَخَذَ مِنْهَا مَا يَأْخُذُ الرَّجُلُ مِنْ زَوْجَتِهِ، وَكَانَتْ قَدْ أُرْسِلَتْ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنْ قَوْمِهَا فَأَشْهَدَتْهُمْ أَنَّهُ دَخَلَ بِهَا، فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ - أَيُّ سُلْتٍ عَنْ سَبَبِ اخْتِيَارِهِ وَسُرْعَةِ زَوَاجِهَا مِنْهُ -، فَقَالَتْ: رَأَيْتُ كَأَنَّ السَّمَاءَ قَدْ فُرِجَتْ لَهُ فَدَخَلَ فِيهَا ثُمَّ أُطْبِقْتُ. فَقُلْتُ: هَذِهِ الشَّهَادَةُ.

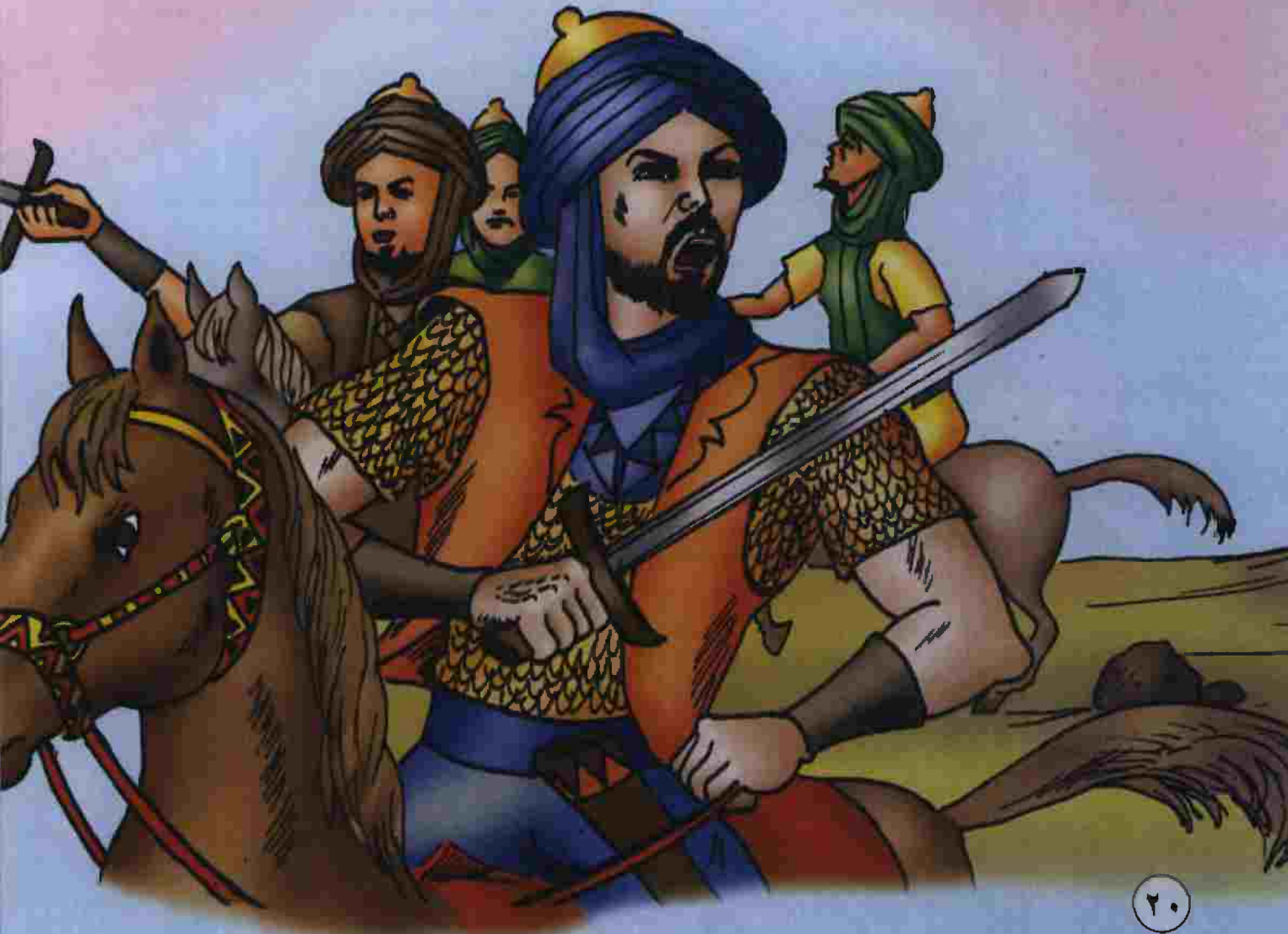
حَمَلَ ﷺ سِلَاحَهُ وَانْطَلَقَ يَعْدُو نَحْوَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ، وَانْضَمَّ إِلَى الصُّفُوفِ، وَرَاحَ يُقَاتِلُ بِكُلِّ ضَرَاوَةٍ وَشَرَاسَةٍ، وَكَادَ أَنْ يُطِيحَ بِرَأْسِ أَبِيهِ لَوْلَا أَنْ نَهَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ.

رَاحَ يَبْحَثُ بِعَيْنَيْهِ عَنْ أَشَدِّ الْمُشْرِكِينَ شَرَّاسَةً وَأَعْنَفِهِمْ بُغْضًا لِلْإِسْلَامِ فَكَانَ أَبَا سُفْيَانَ فَاَنْطَلَقَ كَالسَّهْمِ نَحْوَهُ، فَضْرَبَ فَرَسَهُ، فَسَقَطَ أَبُو سُفْيَانَ عَلَى الْأَرْضِ، وَهَنَالِكَ رَفَعَ حَنْظَلَةُ سَيْفَهُ فِي الْهَوَاءِ بِمُنْتَهَى الْقُوَّةِ وَالْعَزْمِ لِيَقْتُلَ قَائِدَ الْمُشْرِكِينَ. لَوْلَا شِدَادُ بَنِ الْأَسْوَدِ النَّبَذِيِّ عَلَيْهِ سَيْفِهِ، فَأَنْقَذَ أَبَا سُفْيَانَ مِنْ قَتْلِ مُحَقَّقٍ، وَقَتَلَهُ هُوَ ﷺ.

فَكَانَ حَنْظَلَةُ ﷺ مِنَ الشُّهَدَاءِ، وَصَارَ يُدْعَى غَسِيلَ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَاهُمْ وَهُمْ يَقُومُونَ بِتَغْسِيلِهِ وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ جَسَدِهِ.

بليع الأرض خبيب بن عدي

لا تَزَالُ صُورَتُهُ مَاثِلَةً فِي أَعْيُنِ بَنِي الْحَارِثِ كَبَطْلٍ مِغْوَارٍ لَا يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ.. أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي قَتَلَ
أَبَاهُمْ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ؟
الآن حَانَ وَقْتُ الانتِقَامِ.
انتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي بَدْرٍ رَغِمَ قَلَّةُ عَدَدِهِمْ وَضَعْفُ عِتَادِهِمْ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ثَبَّتَ أَقْدَامَهُمْ، وَأَنْزَلَ
مَلَائِكَتَهُ وَسَكِنَتَهُ عَلَيْهِمْ.
فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ الْمُبَارَكَةِ، لَمَعَ نَجْمُ خُبَيْبِ بْنِ عَدِي وَالَّذِي اسْتَطَاعَ بِشَجَاعَتِهِ أَنْ يَضْرِبَ فِي
رِقَابِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ أَعْدَادًا لَا بَأْسَ بِهَا، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ "الْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ"، فَلَمَّا
عَلِمَ بَنُوهُ بِمَقْتَلِهِ، أَرْمَعُوا عَلَى الانتِقَامِ مِنْ هَذَا الصَّحَابِيِّ قَاتِلِ آبَائِهِمْ، وَقَدْ كَانَ.



كَانُوا عَشْرَةَ أَرْسَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَ مَكَّةَ، لِيَكُونُوا عِيُونًا لَهُ، يَعْرِفُونَ مَا يَحْدُثُ هُنَاكَ، وَمَا يُخْفِيهِ الْمُشْرِكُونَ ضِدَّهُمْ، ثُمَّ يَأْتُونَ إِلَيْهِ بِالْأَخْبَارِ لِكَيْ يَحْتَاطَ الْمُسْلِمُونَ وَيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ، لِكِنَّ أَمْرَهُمْ انْكَشَفَ، فَتَمَّ قَتْلُهُمْ جَمِيعًا.

إِنَّهُ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةِ الْأَبْطَالِ، وَقِصَّةُ اسْتِشْهَادِهِ مِنْ أَعْجَبِ مَا تَكُونُ.. تَعَالَوْا إِذَنْ نَتَعَرَّفَ عَلَى بَعْضِ مَلَامِحِ شَخْصِيَّتِهِ، وَكَيْفَ قَضَى نَحْبَهُ.

هُمُ عَشْرَةٌ مِنَ الرِّجَالِ الْأَبْطَالِ، كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ نَسِيحٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، وَإِنْ كَانَ الْإِيمَانُ قَدْ شَمِلَهُمْ، وَطَبَعَ عَلَى وُجُوهِهِمْ مَلَامِحُ الرُّوعَةِ وَالْجَمَالِ، فَقَدْ لَقُوا حَتْفَهُمْ وَهُمْ فِي مُنْتَهَى الرِّضَا وَالسَّعَادَةِ.

هَآ هُمْ يَسِيرُونَ فِي قَلْبِ الصَّحْرَاءِ الْمُمتَدَّةِ، يَضْرِبُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمُ الثَّابِتَةِ، وَيَتَطَلَّعُونَ بِأَعْيُنِهِمْ إِلَى حَيْثُ أَمْرَهُمْ قَائِدُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

كَانَ "التَّمْرُ وَالْمَاءُ" طَعَامَهُمْ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْلِسُوا بِغَضِّ الشَّيْءِ، يَسْتَظِلُّونَ بِظِلِّ شَجَرَةٍ، وَيَلْتَقِطُونَ أَنْفَاسَهُمْ، وَيَمْسَحُونَ قَطْرَاتِ الْعَرَقِ الَّتِي تَتَسَاقَطُ عَنْهُمْ.. يَتَنَاوَلُونَ طَعَامَهُمُ الْبَسِيطَ، وَيَتَنَاوَلُونَ قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ؛ لِيَسْتَكْمِلُوا سَيْرَهُمْ نَحْوَ هَدَفِهِمُ الْمُنْشُودِ.

لَكِنَّ..

فَجَاءَ...

انْكَشَفَ أَمْرُهُمْ.

كَانُوا فِي مَكَانٍ بَيْنَ عَسْفَانَ وَمَكَّةَ.

وَصَلَ خَبَرُهُمْ إِلَى أَهْلِ حَيِّ هُدَيْلِ الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمْ "بَنُو لَحْيَانَ"، فَنفَرُوا إِلَيْهِمْ بِمَا يُقَارِبُ مِائَةَ رَجُلٍ رَامٍ مِنْ أَمْهَرِ الرُّمَةِ الَّذِينَ تَتَّبَعُوا آثَارَهُمْ، حَتَّى وَجَدُوا مَا كُلُّهُمْ التَّمْرُ فِي مَوْضِعٍ جُلُوسِهِمْ. قَالُوا: تَمْرٌ يَثْرِبُ!

فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ، وَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ أَمِيرُهُمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَصْحَابُهُ لَجَأُوا إِلَى رَأْسِ جَبَلٍ، فَأَحَاطَ بِهِمُ الْقَوْمُ قَائِلِينَ لَهُمْ: انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أَلَّا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا. كَانَتْ وَجُوهُهُمْ الْكَالِحَةُ تَحْمِلُ ابْتِسَامَاتٍ صَفْرَاءَ.

قَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ.. اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ.

فَرَمَوْهُمْ بِالْإِبِلِ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ نَفَرٌ عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، وَقَدْ ظَنُّوا أَنَّ الْقَوْمَ سَيُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ مَعَهُمْ.

وَمَا كَادَتْ أَقْدَامُهُمْ تَطَأُ الْأَرْضَ حَتَّى ظَهَرَ الْغَدْرُ، فَقَدْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قَسِيهِمْ ثُمَّ رِيَطَوْهُمْ بِهَا. الْآنَ قُتِلَ رَجُلَانِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَاحِدٌ.. إِنَّهُ صَاحِبُ هَذِهِ الْقِصَّةِ، حُبَيْبُ بْنُ عَدِي. وَالْجُمُوعُ الْكَثِيفَةُ تُقْبِلُ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْبٍ إِلَى مِنْطَقَةِ التَّنْعِيمِ؛ لِيَرَوْا الْمَشْهَدَ الدَّامِيَ عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ.. يَبْحَثُونَ عَنْهُ.. أَعَيْنُهُمْ مَفْتُوحَةً عَلَى مِصْرَاعَيْهَا.. أَيْنَ هُوَ ذَلِكَ الْأَسِيرُ؟ إِنَّهُ مُكَبَّلٌ بِالسَّلَاسِلِ فِي حُجْرَةٍ مُغْلَقَةٍ لِبَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ بَنِي الْحَارِثِ، الَّذِينَ رَاحُوا يَعْدُونَ عُدَّتَهُمْ وَيُحْضِرُونَ أَكْبَرَ حَشْدٍ مِنَ النَّاسِ، لِيُصْبِحَ الْمَشْهَدُ أَكْثَرَ إِثَارَةً، وَيَبْلُغَ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ. أَمَّا هُوَ فَقَدْ كَانَ رَابِطَ الْجَاشِ، مُطْمَئِنِّ الْقَلْبِ، فَقَدْ كَانَتْ الْإِبْتِسَامَاتُ الرَّائِعَةُ الَّتِي تَمَيَّزُ بِهَا هَؤُلَاءِ الْمُوَحِّدُونَ، أَتْبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ تَرَفُّ عَلَى وَجْهِهِ الْهَادِي، وَلِسَانُهُ بَاتَ يُسَبِّحُ اللَّهَ وَيَذْكُرُهُ. اسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ مُوسِيًّا "شَفْرَةً" يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ.

وَدَرَجَ صَغِيرٌ لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أَنَاهُ، فَوَجَدَتْهُ وَقَدْ أَجْلَسَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَالْمُوسِيَّ بِيَدِهِ.

تَقُولُ أُمُّهُ: فَفَزِعْتُ فَرْعَةً عَرَفَهَا، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ.

تَقُولُ أَيْضًا: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْهُ..

وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ،

وَأَنَّهُ لِمُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ!

كَانُوا يَدْفَعُونَهُ بِقَسْوَةٍ، وَالْجُمُوعُ

الْغَضِيرَةُ تَمُدُّ أَذْرَعَهَا

لِأَعْلَى فِي غَضَبٍ،

وَهِيَ تَهْدِرُ بِغُفْ:

اقْتُلُوهُ!..

مَرْقُوهُ!..

الصَّابِئُ!



ثُمَّ رَمَاةً غِلَظَ شِدَادُ يَحْمِلُونَ رِمَاحَهُمْ وَسَيُوفُهُمْ، كُلُّ قَدْ عَرِفَ مَكَانَهُ، وَوَجُوهٌ حَادَّةٌ قَاسِيَةٌ
تَتَطَلَّعُ إِلَى الْمَشْهَدِ، وَتَشْتَاقُ لِرُؤْيَةِ الدَّمَاءِ الطَّاهِرَةِ وَهِيَ تَسِيلُ أَمَامَهَا. وَهُوَ بِرِغَمِ الْمَاسَةِ، كَانَتْ
عَيْنَاهُ تَتَطَلَّعُ إِلَى السَّمَاءِ، يَشْتَاقُ إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِ، لِيَلْحَقَ بِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ إِلَى جَنَابِ النَّعِيمِ.
قَالَ لَهُمْ: دَعُونِي أَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ.. تَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ حَتَّى فَرِغَ مِنْهُمَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمْ
وَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ.

ثُمَّ دَعَا رَبَّهُ قَائِلًا: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا.
يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدَ، حِينَ حَضَرَ هَذَا الْمَشْهَدَ: "شَهِدْتُ مَضْرَعَ
خُبَيْبِ بْنِ عَدِي، وَقَدْ بَضَعْتُ قُرَيْشَ لَحْمَهُ، ثُمَّ حَمَلُوهُ عَلَى جِدْعِهِ. فَقَالُوا: أَتَحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ؟
فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَحِبُّ أَنِّي فِي أَهْلِي وَوَلَدِي، وَأَنْ مُحَمَّدًا شَيْكَ بِشَوْكَةٍ ثُمَّ أَنْشَدَ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي وَمَا أَرْصَدَ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَضْرَعِي
فَذَا الْعَرْشِ صَبَّرَنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي فَقَدْ بَضَعُوا لَحْمِي وَقَدْ يَأْسُ مَطْمَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَلْوٍ مُمَزَّعٍ
وَقَدْ خَيَّرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ وَقَدْ هَمَلْتُ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعٍ

...

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ خُبَيْبُ بْنُ عَدِي
هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قِتْلَ حَبْسًا صَلَاةَ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ
تَنْفِيذِ الْحُكْمِ فِيهِ.

"اللَّهُمَّ إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا رِسَالَةَ رَسُولِكَ،
فَبَلَّغْهُ الْغَدَاةَ مَا يُصْنَعُ بِنَا".

قَالَهَا رضي الله عنه قَبْلَ أَنْ يُضْرَعَ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ،
وَوَصَلَتْ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ أَحَدَ أَصْحَابِهِ
لِيَأْتِيَهُ بِهِ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ.



اختبر معلوماتك

● متى قتل حمزة بن عبد المطلب؟

في غزوة بدر
في غزوة أحد
في غزوة الخندق



● كان مصعب بن عمير هو...

أول من أسلم
أول سفير في الإسلام
أول من هاجر من مكة



● هاجر جعفر بن أبي طالب أول هجرته إلى...

المدينة المنورة
بلاد الحبشة
أرض الشام



● كان خبيب بن عدي واحداً من عشرة أبطال أرسلهم النبي ليكونوا عيوناً له وذلك في...

المدينة
مكة
اليمن

